DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055 ISSN : 2072-6317(P) - 2572-5440(O)

جامعة المثنى / كلية التربية للعلوم الانسانية
مجلة اوروك للعلوم الانسانية
موقع المجلة: www.muthuruk.mu.edu.iq

تمثّل القيم الخُلقية في شعر لميعة عباس عمارة

حيدر مَحلاتي*

هدير عبد العباس رشاد الگليبي

حسين تك تبار فيروزجائي

جامعة قم، إيران

معلومات المقالة

تاريخ المقالة :

تاريخ الاستلام: 2024/4/30

تاريخ التعديل : 2024/5/08

قبـول النشـر: 2024/5/15

متوفر على النت: 2024/7/10

الكلمات المفتاحية :

الأخلاق، القيم الخلقية، لميعة عباس عمارة، الشعر الحر، الشعر العراقي المعاصر

الملخص

الخُلق قيمة إنسانية رفيعة ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً، تنبع من صميمه وتسيّر أفراده وفق الرؤية التي يحددها العرف المتبع والطبيعة السائدة لها في البيئة الاجتماعية. فقيمة الحب والجمال والفضيلة والمعرفة والخير والسعادة وغيرها تخضع للتعريف الخاص الذي يجمع عليه المجتمع، وعلى ضوء هذا التعريف تترسّخ تلك الأخلاق في وجدان الفرد، وتتوسّع من خلال فلسفة المفكرين ونتاج المثقفين وأقلام الأدباء وقريحة الشعراء. وأوسع ما يمكن نشره من الأخلاق والسجايا الحسنة في المجتمع يتم من خلال الشعر وعلى لسان الشعراء المبرزين. وتعد الشاعرة لميعة عباس عمارة (1929-2021م) واحدة من تلك المبدعات اللواتي حملن في قصائدهن هموم المجتمع، وما كان يعاني من ضياع للقيم والأخلاق والمبادئ الإنسانية السامية. فكانت أشعارها مرآيا ساطعة تعكس ذلك الفراغ القاتم والخلل البائن في مفاصل البيئة المعاشة. وتهدف هذه الدراسة التي تتبنى في بحثها المنهج الوصفي التحليلي إلى معرفة مواطن التوظيف للقيم الخلقية في نتاج الشاعرة، والتحرّي عن منظومتها الأخلاقية الحاضرة في أشعارها ودواوينها المنشورة. وقد خلصت الدراسة إلى نتائج أهمها أنَّ الشاعرة لميعة تنبّهت منذ البداية إلى الدور التوعوي الذي يضطلع به الشعر، وخاصة في اصلاح المجتمع وترشيده من خلال الكلمة الهادفة التي تسعى إلى توطيد الأخلاق الكريمة بين الناس وتعزيز القيم بينهم. وبما أنَّ شعرها كان حلو المساغ طيّب المذاق، فقد أثّر في القارئ عميق الأثر وبالغ المدى.

©جميع الحقوق محفوظة لدى جامعة المثنى 2024

المقدمـة:

جُبل الإنسان على حبِّ الخير والتأسي بمكارم الأخلاق واصطناع المعروف بين الناس. فالفطرة البشرية ميّالة بطبعها إلى التعايش السلمي وامتثال التوادد في الأوساط الاجتماعية. وهذه الخصلة هي التي تجعل الحياة مستمرةً على الرغم من كل السلبيات الظاهرة في تعامل البعض من دافع الأنانية والاستئثار والاستيلاء والهيمنة المطلقة. وعلى مر التاريخ نادى المتخلّقون من ذوي النوايا السليمة والسجايا الحميدة بضرورة تنظيم الحياة البشرية وفق المعايير الخلقية التي تجمّعت لدى الإنسان عبر تجاربه العتيدة وكُتب الوحي الخالدة بتعاليمها البناءة وأحكامها الهادية إلى كل خير وصلاح. ولم يفتأ التراث العربي وعلى رأسه الموروث الشعري بنقل تلك القيم والتغنّي بها باعتبارها جزءاً من تراث الإنسانية الذي تناقلته البشرية جيلاً بعد جيل. وشعراء العربية منذ العصر الجاهلي وحتّى يومنا هذا وضعوا على عاتقهم واجب التثقيف العام ومسؤولية التوعية الجماهيرية باعتبارهم

*الناشر الرئيسي : E-mail : dr.mahallati@ yahoo.com

رُسُل البيان المؤثّر ذات القاعدة الشعبية الواسعة ونطاقها التربوي الشامل. ولم يغب شعراء العراق وخاصةً في القرنين الأخيرين عن تحمّل هذه المسؤولية الخطيرة وديمومة حضورها في المجتمع، فرفدوا النتاج الأدبي العربي بروائع الشعر المعبِّر والقصيد الملتزم الفذ.

وكانت الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة بشعرها الرقيق وكلماتها العذبة واحدةً من تلك النساء الشواعر اللواتي تركن بصمات مشهودة في التراث الشعري المعاصر؛ وذلك من خلال توظيف الشعر كأداة إعلامية فاعلة لصالح التوعية الجماهيرية والإصلاح الاجتماعي والرُّقي المنشود لأفراد المجتمع. فدواوينها الشعرية وعلى الرغم من اصطباغها بالطابع الرومانسي، تحمل في ثناياها هموم الشعب وتطلعاته نحو الأفضل. ومن خلال لغتها المتسمة بالجمالية الفاتنة استطاعت الشاعرة أن تصوّر الواقع المُعاش تصويراً حياً مزداناً بالرؤى والأحلام، مفعماً بالتفاؤل الحذر، محاطاً بتوجسات وهواجس ظلّت قائمة في قرارة الشاعرة وقناعاتها المتجذرة في الأعماق. من هنا ظهرت مُجمل تلك القيم الخلقية البناءة متجانسةً والنسيجَ الشعري وكأنها كتلة واحدة يصعب اجتزاؤها أو فرزها. فشعر الشاعرة سليل قيَمٍ ومُثُلٍ وخُلُقٍ تراءت علناً حيناً وتسلّلت رمزاً حيناً آخر.

وهذه الدراسة تأتي لتسلّط الضوء على الجانب الخُلُقي في شعر الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة من خلال دراسة أشعارها ودواوينها المنشورة. وهي محاولة لتأطير الرؤية المعرفية التي تجلّت في إبداعها الشعري، واستطلاع الدوافع الداعية إلى إنشاد هذا اللون من الشعر التربوي الاجتماعي، حيث البيئة السياسية المحفزة والوسط الاجتماعي المتأزم والظروف النفسية العصيبة التي مرَّت بها الشاعرة في مسيرة حياتها المتعثرة.

أهمية البحث وأهدافه

تنعكس القيم الأخلاقية بمضامينها التربوية على حياة الإنسان بشكل مؤثر ومباشر. فالإنسان كائن اجتماعي يتحابب مع أبناء جلدته بتعامله المهذّب وسلوكه السوي وعبر تجسيده الأخلاق الفاضلة من منطلق التفاهم المشترك والتعاضد المجتمعي الملزم. فأهمية الأخلاق لا تُنكر، وتأثيرها بين الناس واضح وجلي، واستنطاق روافدها الحيوية غاية أكيدة، خاصةً تلك الروافد والمصادر الغنية بالكلمات الشاعرة والمعاني الموحية والأنغام المقفاة ذات الإيقاع الآسر الخلاب. وشعر لميعة عباس عمارة لا يخلو من هذه المنظومة المتناغمة والمتجانسة شكلاً ومضموناً. فالشكل بلغته الواضحة وأسلوبه البياني المتمايز صفاءً وإيقاعاً يمهّد الأرضية الصالحة لنماء قيم الأخلاق السامية ومجمل الفضائل الحسنة. من هنا بات البحث عن تلك القيم المتجسدة شعراً أمراً مهماً؛ نظراً لضرورات اجتماعية بحتة، وهدفاً سامياً ينشده البحث بُغيةَ التعرّف إلى أصوله ومعرفة مواطنه ومواضعه.

وثمة هدف آخر يتطلع إليه البحث من خلال قراءة المنظومة الشعرية للشاعرة عبر زاوية النُّظُم الخلقية هو معرفة مكانة هذه القيم في نتاج الشاعرة، ومدى اهتمامها بها على الصعيد الفردي والاجتماعي. فالمطالع لمعظم أشعارها يتلمس فهماً خاصاً لاستدعاء هذه القيم من قبل الشاعرة، وهو استدعاء معبّر نحاول أن نقف عند حدوده ومزاياه، لنستجلي المعاني المخبّأة في ثناياه. وهذه المعاني وحسب اللغة الاستعارية الشاعرة تكون في الغالب مبطّنة، لا يسهل استخراجها بالقراءة الأولى، بل تتماثل شيئاً فشيئاً بإمعان النظر والتدقيق المعمق. ومن الواضح أنَّ قراءة شعر الشاعرة عبر هذه الرؤية التنظيرية سوف يفضي في خاتمة المطاف إلى معرفة منهجية الشاعرة في إنشاد الشعر الهادف، وكذلك معرفة التقنيات البيانية التي استخدمتها الشاعرة في توظيف الأخلاق والمناقبية الحسنة.

أسئلة البحث

تحاول هذه الدراسة من خلال تقصّي المفاهيم الخلقية الرفيعة في شعر الشاعرة لميعة عباس عمارة أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

1- بماذا اتسمت الرؤية المعرفية الخلقية للشاعرة لميعة عباس عمارة؟

2- ما هي المفاهيم الخلقية المطروقة في شعر الشاعرة؟

3- كيف تراءت الصورة الفنية للمدلول الخلقي في أشعار الشاعرة؟

خلفيات البحث

لاقى النتاج الشعري للشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة حظاً وافراً من الدراسات والبحوث الأكاديمية، فكُتبَ عن أسلوبها البياني والصورة الفنية في شعرها والمواضيع الاجتماعية التي تناولتها الشاعرة في دواوينها وغير ذلك من المواضيع الأدبية والاجتماعية. إلا أنَّ المضامين الخلقية المطروقة في شعر الشاعرة كانت بمنأى عن الدراسة من قبل الباحثين، فلذا لم يُكتب بحثٌ مستقل في هذا الشأن ليشكّل خلفية لدراستنا هذه. وبما أنَّ بعض الدراسات قد ترتبط ببحثنا بصورة غير مباشرة آثرنا أن نشير إليها هنا باعتبارها بحوثاً ذات صلة بعيدة بموضوع البحث تتناسب والإطار العام للدراسة. ومن هذه البحوث:

1- كتاب «لميعة عباس عمارة وهموم الضياع: رؤية نفسية»، من تأليف شوقي يوسف بهنام، نُشر في دمشق سنة 2013 عن دار أمل الجديدة. والكتاب يدرس النتاج الشعري للشاعرة من خلال قضايا علم النفس وقراءات التحليل النفسي، وفيه يتناول الباحث عينات شعرية من دواوين متعددة للشاعرة انعكست فيها حالات الشاعرة النفسية وما شابها من توجسات وتوترات.

2- مقال بعنوان «صورة المرأة عند الشاعرة لميعة عباس عمارة»، للباحثة منى صالح حسن الدجيلي، نُشر في مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، سنة 2015م، المجلد 14، العدد 1، ص: 115-142. وقد اشتملت الدراسة على تحديد صورة المرأة ودلالاتها في شعر الشاعرة، من مثل: المرأة الأم، والمرأة المناضلة، والمرأة الكادحة، والمرأة العاشقة، والمرأة العراقية، والمرأة المتحررة.

3- كتاب «العقل الأخلاقي العربي»، من تأليف محمد عابد الجابري، نُشر في بيروت سنة 2001 عن مركز دراسات الوحدة العربية. يتناول الكتاب القضايا الأخلاقية في التراث العربي، ونقد النظم القيمية القائمة على الموروث القديم. وقد أشار الباحث في كتابه إلى غياب نظام واحد للقيم في الثقافة العربية ما يدل على وجود خلل بنيوي في المنظومة الخلقية للهوية العربية، وفقدانها لمرجعياتها الأصيلة بعيداً عن الفلسفات الخلقية الوافدة.

4- مقال تحت عنوان «التقنيات الأسلوبية في شعر لميعة عباس عمارة: ديوان لو أنبأني العراف انموذجاً»، للباحثة زينب علي عبد الحسين المعموري، نُشر في مجلة الدراسات المستدامة، العراق، سنة 2022، المجلد 4، العدد 1، ص: 826-857. وقد ناقش البحث المستوى الصوتي في الديوان من ناحية اللفظ المفرد والبنية المقطعية، وكذلك مستوى الإنشاء ومدى التناسب بين الأساليب الإنشائية والفكرة العامة للقصائد.

5- مقال تحت عنوان «منظومة القيم الأخلاقية في الشعر العربي بين القديم والجديد»، من تأليف أركان حسين العبادي، نُشر في مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، سنة 2019م، العدد 82، ص: 329-346. والمقالة تلقي نظرة إجمالية على القيم الأخلاقية التي وردت في الشعر العربي من العصر الجاهلي وحتّى العصر الحديث، مركّزةً بالتحديد على معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي وما تضمنته من فضائل خلقية وسجايا إنسانية حميدة انعكست في العصور التالية. ولم تتعمق المقالة في دراسة الشعر العراقي الحديث واكتفت بذكر عينتين فقط من شعر أحمد الوائلي وعبد الكريم راضي جعفر.

منهج البحث

تعتمد هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بالكشف عن القيم الإبداعية الكامنة في بنية النص الشعري ذات المدلول الخلقي في مستواه السطحي والعميق. وبما أنَّ الضالة في هذا البحث هي القيم الأخلاقية في شعر الشاعرة لميعة

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

عباس عمارة، فلذا أصبح ضرورياً معرفة توظيف هذه القيم في حياة الإنسان على الصعيدين الفردي والاجتماعي.

المفاهيم البحث الرئيسة :

القيمة في اللغة : جاء في المعاجم أن القيمة في اللغة لثَّمن الذي يعادل تكلفته-: قيمة بضاعة ، وقيمة الشيء ثمنه ، وبه يقاس ويقدر (المعجم الوسيط ، الزيات ،

القيمة في الاصطلاح : وتُعرف اصطلاحاً بأنها مجموعة الصفات الأخلاقية، التي يتميّز فيها البشر، وتقوم الحياة الاجتماعية عليها، ويتمّ التعبير عنها باستخدام الأقوال والأفعال، وتُعرف أيضاً بأنّها مجموعة من الأخلاق الفاضلة (جلال الدين سعيد ، 2007 ، 120)

الأخلاق لغة : الخُلُق في لغة العرب: هو الطَّبْع والسجيَّة، وقيل: المروءة والدِّين، قال العلامة ابن فارس: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء. (ابن فارس ، 1967 ، 233)

الاخلاق في الاصطلاح : الخُلُق: بضم اللام وسكونها، وهو الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصَّة بها، بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب يتعلَّقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثرَ مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة؛ ولهذا تكرَّرت الأحاديث في مَدْح حُسْن الخُلُق في غير موضِ (عبد الرحمن الميداني ، 1998 ، 10)

الدراسة

تُعد الشاعرة لميعة عباس عمارة إحدى الأسماء اللامعة في سماء الشعر العراقي المعاصر، ومن أضلاع المثلث الشعر النسوي في العراق، بالاشتراك مع نازك صادق الملائكة (1923-2007م) وعاتكة وهبي الخزرجي (1924-1997م). ولدت الشاعرة في بغداد سنة 1929 لعائلة أصلها من مدينة العمارة في جنوب العراق. درست المرحلة الابتدائية في مدينة العمارة، وأكملت الدراسة الثانوية في بغداد، وفيها التحقت بدار المعلمين العالية وتخرّجت منها سنة 1950م. عملت مدرّسة في وزارة التربية العراقية وأصبحت عضوة في الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب العراقيين ببغداد (عز الدين، 1969 :397) . تأثّرت في مسيرتها الشعرية بالشاعر اللبناني المهجري إيليا أبي ماضي وانعكس ذلك التأثير في باكورة أشعارها (طبانة ، 1948 :117) .

وذكر (طعمة سلمان هادي في كتابه (شاعرات العراق المعاصرات) أنه صادف أن اجتمع مع لميعة في سنوات الدراسة في المعهد، عدد من الشعراء، منهم بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وعبد الرزاق عبد الواحد وغيرهم، وكان التنافس الشعري بينهم شديدًا، وتمخض عنه ولادة الشعر الحر (طعمة سلمان ، 1955 ، 45)

أرغمت الشاعرة على الهجرة إلى الولايات المتحدة الاميركية اثر الانقلاب على عبد الكريم قاسم سنة 1963 بعد فصلها من وظيفتها بتهمة انتمائها لحزب اليسار الشيوعي. وقد استقرّت في مدينة (دييغو) في ولاية (كاليفورنيا) حتّى توفّاها الأجل سنة 2021م. أصدرت الشاعرة دواوين عدة، كانت البداية سنة 1959 بديوان (الزاوية الخالية)، ثم في سنة 1962 نشرت ديوان (عودة الربيع)، وديوان (أغاني عشتار) في سنة 1969، وديوان (عراقية) سنة 1971، وديوان (يسمونه الحب) في سنة 1972، وديوان (لو أنبأني العرّاف) في سنة 1980، وديوان (البعد الأخير) في سنة 1987م(المطبعي، 1995، ج1 :175).

كانت بدايات الشاعرة وهي تسير في عالم القصيد بدايات حافلة برومانسيات فتاة تنشد الحب بكلمات شاعرة تقطر صدقاً وبهاءً. فقد كان لشعرها الأول «جرس لطيف مؤنس تملأ الآذان أنغام القيثار، وآهات الأعواد، وترانيم الطير، وشدو البلابل»[1]. وهذا الوصف ينطبق على شخصية إنسانة مرهفة الحس، متطلعة نحو الأفضل، تصبو إلى الجمال والكمال والسعادة على الرغم ما يعترض طريقها من عقبات ومطبّات. وسيرة الشاعرة تنبئ بأنها قد تقلّبت في حياتها بين النعمة

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

والكفاف، وذاقت حلو العيش ومرّه وكانت على الحالين باسمة الثغر دائماً، متفائلة على عكس ما يبدو في شعرها من لمحات التشاؤم. ولعل مرد هذا التشاؤم يعود إلى ظروف العيش المأزومة التي عاشتها الشاعرة، ومشاهداتها لانتكاسات المجتمع المتتالية.

ولم تكن حال الشاعرة كحال كثير من الشعراء المغرمين في الوصف والجمال فحسب، فقد «استهوتها الأغراض الإنسانية من مآسي البائسين وأحلام الشباب وجمال الأمومة وروعة الحب (الطعمة ، 1955 : 40) .

فلذا كانت تعيش هموم مجتمعها وتقلّبات بيئتها، وتطمح إلى إصلاح ما أعوجه الوضع القائم وتفادي الاخفاقات بكل ما لديها من طاقات وقدرات بيانية. وبهذه الثنائية القائمة على الجمال وحب الإصلاح شقّت الشاعرة طريقها في العمل التثقيفي الواعي. فقد «كتبت الكثير في الغزل الرقيق وفي الموضوعات الوطنية والقومية، وعالجت ما تعانيه من توزّع بين التقاليد والتطلعات الحياتية، وعكست أشعارها رقتها ودعابتها وتحررها الرومانسي، وقدرتها على التعبير عن الأحوال الوجدانية في لحظتها الفاتنة مع لغة راقية وألفاظ رصينة وتعبيرات جميلة» (الطعمة ، 1955 : 40) .

ومن جملة المواضيع الرئيسة التي اعتنت بها الشاعرة وأولتها أهميةً بالغة؛ لما لها من تأثير مباشر على المجتمع، هي القيم الأخلاقية والمُثُل الإنسانية العليا. لقد كانت الشاعرة تعي جيداً أنَّ تعثّر المجتمع وتخبطه في مشاكله ومعضلاته يعود إلى غياب الأخلاق وانعدام التعامل الإنساني فيه. فالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها انما تنشأ بسبب فقدان الأسس الأخلاقية الرئيسة التي يقوم عليها المجتمع المتحضر، دون أن نحط من رداءة التخطيط وسوء التصرف والتدبير. فالأخلاق هي التي تضع الأمور في نصابها الصحيح، وتنظّم علاقة الفرد بمجتمعه. وقد جاء تعريف علم الأخلاق بأنه: «علم يوضّح معنى الخير والشر، ويبيّن ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم، وينير السبيل لعمل ما ينبغي» (أمين ، 1931 :2) .

وهذا يعني أنَّ موضوع علم الأخلاق هو ترشيد سلوك الأفراد حسب مقتضيات المجتمع، والمجتمع أو العرف السائد فيه هو الذي يحدد معنى الخير والشر، وقد يتغيّر هذا المعنى من مجتمع إلى آخر. وثمة تعريف اصطلاحي آخر للخُلق يوسّع التعريف السابق، ويُفسّر أفعال الإنسان صالحها وطالحها وفق رؤية فلسفية دقيقة: «الخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سمّيت الهيئة خُلقاً حَسَناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سمّيت الهيئة خُلقاً سَيئاً» (الجرجاني، 2018 :136) .

ويُفهم من هذه التعاريف أنَّ الفرد يرتبط بمجتمعه من خلال سلوكه السوي الذي يرتضيه المجتمع ويتفق مع التوجّه العام للبيئة الحاضنة. فلا يمكن أن تكون بعض التصرفات الفردية لدى البعض مقبولةً اجتماعياً وعند البعض الآخر مرفوضة. فالمجتمع الواحد يتفق في أصوله الاجتماعية، على الرغم من تعدد مسالكه ومذاهبه. وما نجده من قيم خلقية في شعر الشاعرة لميعة عباس عمارة لا يخرج عن دائرة القبول العام للأخلاق المعترف بها اجتماعياً، عدا بعض الأعراف الجائرة البعيدة عن منطق العقل السليم، والتقاليد الموروثة البالية التي ناضلت الشاعرة، طوال فاعلياتها الإصلاحية والثقافية والأدبية، من أجل القضاء عليها، وتوعية الناس ليفهموا الأخلاق الحميدة كما هي، وينبذوا الجهل والتخلف والخرافة في كل مكان وزمان. والمطالع لأعمال الشاعرة لميعة يقف على مجموعة من القيم الخلقية الرائعة والمعاني الإنسانية النبيلة التي يطمح إليها كل مجتمع متطلع نحو السعادة والكمال. ويمكن إجمال هذه القيم كالآتي:

1- سمو النفس وصفاء الذات

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

يعبّر الإنسان عن مكنونات نفسه ومعاناته الذاتية بوسائل شتّى، يأتي الشعر متصدراً أنجع الوسائل تأثيراً وتعبيراً؛ نظراً لطبيعته الجمالية وماهيته الشعورية. فالشعر عمل إبداعي أدبي محض يعبّر الإنسان من خلاله عمّا يعتريه من مشاعر وأحاسيس، ومن خلاله يكشف الإنسان المبدع عن همومه وأحزانه. وهذا الكشف يتطلب قراءة نقديَّة واعية تلامس النصَّ الشعري ملامسة قادرة على فهمه وتحليله. وكلّما كان النصُّ أكثر تمثُّلاً للذات ولكلِّ ما يحيط بتلك الذات كان النصُّ في مراتب متقدمة من الجمالية. ومن مظان الجمالية في الشعر تمثّل الشاعر لجمالية الأخلاق، واكتشاف العلاقة الرابطة بين الشاعر الإنسان، ومحددات المنظومة الخلقية في مجتمعه. والشاعر المندمج ببيئته وظروفه الحياتية يمثّل تلك العلاقة خير تمثيل من خلال إنشاده لأشعار الحكمة والرثاء والغزل والمديح وغيرها. وما شعراء اليوم إلا امتداد لشعراء الأمس الذين أعلوا قيمة الخلق ووظّفوها أفضل توظيف في شعرهم، وكانت الشاعرة لميعة من الرائدات في هذا الميدان.

لقد عبّرت الشاعرة وفي مواضع مختلفة في دواوينها عن ذاتها الصادقة مع نفسها ومع غيرها. فهي صريحة واضحة في صدق عواطفها وسمو نفسها وصفاء ذاتها وطهر مشاعرها. ولم تكن هذه الخصلة الإنسانية المشرّفة سوى مدعاة لحزنها ومعاناتها؛ لانعدام الشعور الصادق في الأوساط الاجتماعية المصابة بداء التخلف والانحطاط. ومن الطبيعي أن يُصاب الإنسان بخيبة الأمل عندما تواجه عواطفه البريئة ردودَ أفعال نابية تبعث على الإخفاق وضياع الحلم؛ لأنَّه يتوقع من الطرف الآخر أن يبادله الحب بالحب والصدق بالصدق. وهذه الحالة تبعث على الحزن والتشاؤم وثبوط الهمة، ومردُّ هذا الانفعال من منظور علم النفس هو «الحب المرتبط بالرغبة في شيءٍ لا نتصور اكتسابه أمراً ممكناً في الوقت الحاضر» (ديكارت، 1993 : 75).

ونجد هذا الإحباط ماثلاً في شعر الشاعرة عندما تخفق في العثور على ضالتها ومبتغاها على الرغم من نُبل عواطفها وصدق مشاعرها، وطول تحرّيها واستمرار بحثها. فأهداف الشاعرة إنسانية، وسلوكها ينم عن غاية نبيلة، إلا أنَّ المجتمع المتخلف الذي تكالبت عليه شرور الجهل والخنوع لم يعد يفطن إلى مقصود الشاعرة الإصلاحي وخطابها التوعوي. فنقرأ في قصيدة تحمل ذلك المعنى، وهي قصيدة (بحث بلا جدوى) أنشدتها سنة 1945م، وهي سنة الدمار الهائل الذي خلّفته الحرب العالمية الثانية، وحالة اليأس والقنوط التي هيمنت على أنفس البشرية. تقول الشاعرة:

البحثُ عمّن تُريدُ النفسُ أتعبني
لا الناسُ ترضى بهم نفسي وتَعشَقُهم
أعيشُ فيهم خيالاً روحُهُ شَرُدت
وإن أتيتُ بثوبِ النُّسكِ أقصدُهم
يا قلبُ مُت كي أُرى في الناسِ هانئةً
واليأسُ بعدَ عناءِ البحثِ أضناني
ولا الملائكةُ الأبرار ترضاني
تجوبُ آفاقَ كَونٍ غيرِ منظورِ
صدّوا سِراعاً وَولّوا كلُّهم عنّي
فأنتَ سِرُّعذابي، أنتَ يا قلبي

(عمارة، عودةالربيع 2001 : 23-24).

لقد صاغت الشاعرة نصَّها الشعري بدقة موضوعية تجلّت فيها رؤيتها المعرفية وإيمانها بالقيمة الخلقية المنبثقة عن البعد الإنساني الذي تؤمن به. فصار ذلك الإيمان مرجعاً فكرياً تحاول من خلاله تجسيد تلك المعاني شعراً لتصبح الصورة نابضة بالحياة، تعج بالإنسانية والمُثُل العليا. والملاحظ هنا اهتمام الشاعرة بالصورة الفنية المستوحاة من الخيال الشعري وتقنية استخدامها في التوظيف المفهومي لقضية الأخلاق. فالتصوير البلاغي الحي المتماثل بعفوية عبر الاستعارات الواردة في (روح الخيال) و(الروح الشاردة) و(ثوب النسك)، وكذلك اللغة الواضحة والبعيدة عن تعسفات المحسنات البديعية، كان له الأثر الأعمق في نقل الفكرة المنشودة إلى ذهن المخاطب. فالشاعرة تعلم أنَّ بمقدور الخيال الشعري إثراء الحساسية

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

وتعميق الوعي، وجعل الصورة أقرب إلى الفهم والاستيعاب. فمن «خصائص الخيال الشعري الأصيل أنه يحطّم سور مدركاتنا العرفية، ويجعلنا نجفل لائذين بحالة من الوعي بالواقع، تجعلنا نشعر كما لو كان كل شيء يبدأ من جديد، وكما لو كان كل شيء يكتسب معنى فريداً في جدته وأصالته» (عصفور ، 1992: 14) .

لقد استطاعت الشاعرة أن تربط الخيال الشعري بالواقع المُعاش؛ لتبث في واقع مجتمعها المتخلّف والمأزوم خُلقياً، وعياً إنسانياً عميقاً ينبع عن صفاء النفس وطهارة الذات. فنقاء النفس وسمو الذات من القيم الخُلقية التي حاولت الشاعرة عرضها عرضاً فنياً جمالياً من خلال إقامة روابط من التقابلات الثنائية بين الأنا (الشاعرة) والآخر (المجتمع). وما قولها: «البحث عمن تريد النفس أتعبني» إلا استعراض لعمق المعاناة الداخلية النفسية التي كانت تعانيها الشاعرة بسبب الخلل الذي رافق بنية المجتمع والمتسرب إلى مفاصله كافة. ويبدو أنَّ بحث الشاعرة كان بحثاً طويل الأمد؛ لأنَّه أتعبها وأضناها في خاتمة المطاف.

وتسير الشاعرة في تقديس الذات الإنسانية الطاهرة، وسمو النفس المصانة عن دنس اللؤم والهوى. فتستعين بالأنثى المثلى وقدسية ذاتها؛ لتؤكّد من جديد قيمة النفس المتخلّقة بسجايا الإنسان الحميدة والفضائل السامية الفريدة. فالأنثى من وجهة نظر الشاعرة رمز للخُلُق المنشود، وسمو النفس النزيهة، إذا ما استطاعت أن تجتاز سطوة المجتمع المستبد، وتقاليده التعسفية الظالمة، ونظرته الدونية للمرأة. فنقرأ لها في قصيدة (صلاة الغريبين) قدسيةً فذةً مثاليةً متخيّلةً، قلما نجدها في واقعنا المتأزم، أو نلمح لها بعض سمات تبعث فينا روح الأمل والحياة:

إجلالاً / أخلعُ نفسي / لا أجرؤ أن أدخلَ قُدسَ هواكِ / يا امرأةً مُثلى / سنُحبُّ صفاتكِ في كلّ امرأةٍ / إلاكِ / أنثى الرجل المرموق / وولى / و أنا في مفترق الطُّرق / تَنهشني الخيبةُ والريح / ويَجلدني قلقي / في برج السَّعدِ العاجي / المتفردِ بالإعجاب وبالألقِ. (عمارة ، 2008: 122- 123) .

مرّةً ثانيةً تقف الشاعرة خائبةً محبطةً تجاه الواقع الاجتماعي المتعثّر بسلبياته واعوجاجاته الخُلقية. إنها تطمح أن يرقى المجتمع إلى مستوى خُلقي لائق بالإنسان، لائق بكرامته وبسمو نفسه وطيب ذاته. أمّا الواقع المُعاش فشيءٌ آخر تماماً. إنه يصنع إنساناً يمتهن ذاته وينهر نفسه أن تبقى طاهرةً نقيةً كما خُلقت. مجتمعٌ يُقاومُ فطرةَ الإنسان ونقاء روحه. ويبقى الشاعر في برجه العاجي وسعده المأمول يجلده قلقه وتنهشه الخيبة مُعجباً متفرداً. وهنا أيضاً، كما شاهدنا في المقطوعة الشعرية السابقة، تتوشح الشاعرة مسوحَ اليأس والقنوط، وتبقى حائرةً ذاهلةً أمام واقع لا يُصلح نفسه مهما حاولت جاهدةً أن تثير في قرارة نفسه شوقَ التحرر والانعتاق من أفكارٍ بالية أكل الدهر عليها وشرب. فكان طبيعياً أن تصاب بالدهشة والثبوط من جراء مقاومة المجتمع العاتية. لقد حاولت الشاعرة الكشف عن ممارسات رأتها غير خلقية كونها تتعارض وصفاء النفس بوصفها قيمة خلقية فاعلة داخل الإنسان طبعاً وخارجه سلوكاً.

وثمة سمة وجدانية تتخلّق بها الشاعرة لدى حديثها عن طيب نفسها وسلامة ذاتها، هي اعتزازها بنفسها مركّزةً على قيمة الكرامة التي ترافق قيمة العزة لزاماً. فالعزة بالنفس من القيم الخُلقية التي حاولت الشاعرة أن تعرضه عرضاً فنياً جمالياً من جهة، وتقدّمه مفهوماً وجدانياً متقدِّماً من جهة أخرى. فجدير بالإنسان أن يعيش عزيز النفس مكرَّماً، لا تُنتهك حرمته، ولا تُداس كرامته ولا تُسلب حقوقه. وتركيز الشاعرة على هذه الخصلة الإنسانية الرفيعة إنما يأتي ليكرّس القيمة الخُلقية لها وحضورها الضروري في المجتمع. فهي ترفض الذل وتقاوم شظف الحياة من أجل أن تبقى عزيزة أبية:

فَرَساً كنتُ لم أعثر ولم يسهل قيادي / بي من شموخ النخل والكرم المؤصّل في بلادي / كان اعتزازي أن أجوع ولا أطأطئ كالنخيل / أنسيت يوماً كبريائي حين ضيّعني دليلي / فإذا يدي تمتّد للصدقات / يرميها الذي قتل الحضارة للقتيل (عمارة ، 2000: 58.) .

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

لقد رسمت الشاعرة بطريقة فنية متجانسة في الوصف والرصف صورةً شعريةً عبّرت عن كرامتها وعزة نفسها. فهي وصّافة ترسم صورتين عن نفسها: صورة الهناء والعيش الرغيد قبال الذل والهوان، وصورة العيش بشظف وفقر وعوز مقابل العيش بكرامة وعزة. من هنا جعلت الشاعرة النصَّ قائماً على تقابل ضدي دلالي، لا يحسن أن نجعله مفارقة لما فيه من تماسك وتلاحم. وسمة العزة بالنفس واضحة منذ مطلع الشعر، فالشاعرة تصف أو تشبّه نفسها بالفَرَس، دلالةً على العزة والشموخ ورفض الإذلال، وبحكمها شاعرة فهي تدرك أن التشبيه يمنح النص كثافة تصويرية، وأبعاداً إيحائيةً تجذب اهتمام المتلقي، ويكشف عن حقيقة الموقف الجمالي الذي عاناه الشاعر أثناء عملية الإبداع. ولكي تتضح الصورة أكثر فأكثر تعمد الشاعرة إلى تفسير أبعاد الموقف عن طريق المقارنة بين طرفي التشبيه. وهذه المقارنة لا تهدف في جوهرها إلى تفضيل أحد الطرفين على الآخر، بل تربط بينهما في حالة أو صيغة أو وضع معيّن (قاسم ،2000: 53). فالتشبيه هنا عمل فني يهدف إلى ترسيخ المعنى الخُلقي لمفهوم العزة بالنفس ورفض المهانة والإذلال.

كانت البداية بتشبيه الشاعرة نفسها بالنخلة الباسقة التي تُعدُّ عند العرب قديماً رمزاً للعزة والشموخ، ثم أضافت إلى نفسها صفة الجود والكرم كما النخلة الكريمة، لكنّها ترفض أن تنحني اعتزازاً بنفسها وصوناً لكرامتها. وكما هو واضح فالنص يتناغم بين تصويرين مختلفين: محسوس ومجرد. وهنا تكمن القيمة التعبيرية لتقنية التشبيه البلاغية. فالشعراء يدركون تماماً أنَّ للتشبيه قدرة فنية تتيح لهم أن يتخذوا منه أداة لتصوير خلجاتهم النفسية التي تعمل بداخلهم، فيصوّروا الأفكار من خلاله ويخرجوها عن التفكير المجرد إلى الآخر المحسوس (الفيل ، 1987: 71) . فالشاعرة هنا كرّست القيمة الخُلقية وعرضتها بطريقة فنية مؤثّرة من خلال توظيف الجانب الجمالي. واستطاعت أن تقدّم المفاهيم المجرّدة بصورة فنية جميلة قادرة على التأثير في ذات المتلقي ومن ثم المجتمع.

2- الوفاء وصدق العاطفة

يُعدُّ الحب وصدق العاطفة من القيم الخُلقية التي دارت على ألسنة الشعراء قديماً وحديثاً. فأكثرَ الشعراء من تجسيد معناه الإنساني الوجداني، وصوّروه بأجمل الصور وأروعها. ومنذ القدم كان الحبُّ مفتاحاً للحوار الشعري والمباهاة الشخصية والإبداع الفني. وكانت المرأة العامل المحرّك والمثير لوجدان الشاعر وأحاسيسه، ومحوراً للنسيب لدى الشعراء. وتختلف صورة المرأة في الشعر المعاصر، عما كانت عليه في الماضي باعتبارها موضوعاً مستقلاً قائماً بنفسه، يسعى الشاعر إلى توضيحه من خلال التحليل أو التركيب والكشف عن الإحساسات الدفينة وبيان العلاقة القائمة بينهما. أمّا اليوم فهي مستوى من مستويات القصيدة، متداخلة في موضوعات عدة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية. وهي رمز أو مَعلم من معالم الحياة، يستخدمه الشاعر في مواجهة معالم أخرى في بناء قصيدته بناء عضوياً درامياً متكاملاً (الموسى ، 1991: 44).

وفي شعر لميعة عباس عمارة حضور طاغٍ للحب بوصفه قيمة خُلقية إنسانية، وتعبير وجداني محبَّب، يفيض تأثيراً ويلقي بظلاله على نفوس مخاطبيه ومحبيه. وقد حاولت الشاعرة أن تستحدث معان جديدة للحب، وخاصة عندما يكون الشاعر هو الذي يحب وهو الذي يوظفه لصالح المجتمع وإصلاحه:

حين يحب الشاعر / يختلط الماضي بالحاضر / كل قصائده جاهزة كي يستشهد / كل عواطفه أدوار تتجدد / كل امرأة ستصدق أن هواها الأول والأخير.(عمارة ، 2000 : 97.)

فالشاعرة هنا تصوّر الحب ليس من منظور كونه علاقة تربط الرجل بالمرأة، أو بكونه علاقة إنسانية محضة، بل من كونه قيمة خُلقية رفيعة، تحاول من خلاله تمييز الإنسان عن غيره من المخلوقات، ثم ترى أنَّ عشق الشعراء يختلف عن عشق غير الشعراء. فالشاعرة تريد من الإنسان أن يعشق بكل إخلاص

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

وأمانة وأن يحترم الآخر المختلف المتعدد. وهي واضحة كل الوضوح في امتثال الوفاء في الحب، والصدق في العاطفة، والنبل في العشق، والتفاني من أجل المحبوب. إنها تخاطب الرجل بكل صراحة وشفافية أن يكون وفياً صادقاً مع المرأة التي أحبها، ويترك أكاذيب الناس وهُراء أقوالهم:

يا ألطفَ الناسِ معي / ردّد على مسامعي / ألفاً، فربّما أعي: / أنَّكَ ما زلتَ.. / وأنَّ قولَهم هُراء (عمارة ،1971: 35)

ويبدو أنَّ الشاعرة حالها حال أي امرأة تعيش حياة عاطفية، تتوجس وتهاب الرجل في وفائه وصدق عواطفه والتزامه الخُلقي تجاه مَن يحب. إنها تضع مفاتيح قلبها بيد الرجل ليكون أميناً على ودائعها القلبية وأسرارها العاطفية وأحاسيسها الوجدانية. فهي تأمل أن يقابلها الرجل وفاءً بوفاء وصدقاً بصدق وحبّاً مثالياً بحبٍ مثالي. فلا يطمع الرجل بأن تبقى المرأة على تفانيها في الحب، بينما يكون هو متأرجحاً في علاقته العاطفية، متقلّباً في هواه، لا يثبت على حال من الأحوال. فالشاعرة تعرب وبصريح القول انَّ الرجل إذا لم يتقيد بميثاق حبه سوف يُقابل بمثله من جانب المرأة. فالوفاء يكون من الجانبين ولا يقتصر على طرف واحد:

وفضلاً عن اهتمام الشاعرة بمعنى الوفاء السامي وقيمته الخُلقية الرفيعة، فإنها تأمل من الرجل أن يبقى ملتزماً بالمناقبية، معتزاً بشموخه وترفعه، محافظاً على نخوته وخُلقه، مستقيماً في كل أمر، مُعتمَداً عليه في الأهوال، وسنداً داعماً في كل الأحوال. ولا يعدو هذا الشعور سوى مطلب أخلاقي إنساني ينظّم علاقة الرجل بالمرأة، ويمنح الحياة زخماً وعطاءً يرشده نحو الدوام والمواصلة:

أحبك شامخاً في كلِّ أمر / يأسرني بعينيك الذكاء / و أفرح أن أراك كأن أصلي / سلامي شهقة / ويدي دعاء / وتملأني على فرحي دموعي / أيصبح ذروة الفرح البكاء (عمارة ، 2008: 37).

وتبقى الشاعرة حذرةً من تفاؤلها، ومتيقظة متوجسة مما تتمناه. فمسيرة حياتها المشبعة بالآهات والآلام جعلتها تتأهب من الوعود المنمقة والعهود الزائفة احترازاً من توسعها الخطير، وخوفاً من سريانها في الواقع المُعاش. ولا نستغرب ان وجدنا الشاعرة متشائمة أمام مصداقية معنى الوفاء لدى البعض ومفعولها الحقيقي الملموس في المجتمع، بل نجدها منكرة لحضوره، إلا في النادر من الناس، كالأم التي جعلتها الشاعرة رمزاً للوفاء الحقيقي المحض ومثالاً للإنسانية الحقة:

أسخرُ مما يُسمّى وفاءً / بقدر معاناة أمّي الوفية / تعيشُ بذكرى أبي ميّتاً مثلَ هنديّةٍ وَثنيّة / فأمي القيودُ، ورجعيةُ العصرِ / والقهرُ والقمعُ والقبلية / وها صِرتُ أمّاً لأمٍّ / وأمّي امتداد الشرائع فيَّ / فأمّي التي حملتني شهوراً / وأحملُها كلَّ عمري، استحالت ضميري / إذا ما نويتُ تَغلُّ يديَّ / فاستغفرُ الله من سوء نيّة (عمارة، 2008: 65- 66)

فوالدة الشاعرة هي معادل موضوعي للوفاء، فهي مَن تعطي دون مقابل، لذا جعلتها رمزاً للوفاء الحقيقي في دنيا تغيب عنها معاني الوفاء الخُلقية الحقة، ويكثر فيها الأدعياء الذين ما يلبث أن يُكشف زيف إدعائهم الباطل. فالشاعرة تعتبر أمّها قمة في الوفاء؛ لأنها بقيت وفية لأبيها بعد موته، وبذلك قد كرّست صفة الوفاء وجعلتها مرتبطة بصفتي الحب والإخلاص. فالأم مثال الحب والوفاء والإخلاص والتفاني، وكلّها قيم خُلقية حاولت الشاعرة الكشف عنها داخل النسيج الشعري.

3- قمة الشعور الإنساني

يمتلك الشاعر وعياً شمولياً فذاً يجعله متنبّهاً يقظاً تجاه ما يحيط به من ظواهر وسلوكيات تتفاعل في الوسط الاجتماعي. فيبني رؤاه ويتخذ قرارات ومواقف تتناسب والحالة الشعورية التي يحسها ويحياها. وقد تجتاز هذه الحالة المتصاعدة شعورياً نطاقَ الفردية لتجوب عوالم أرحب، وآفاق أوسع من دوائر الطائفية والطبقية المحدودة. فالشاعر الذي تثيره حادثة ما سواء كانت في موطنه أو في مواضع بعيدة عنه هو شاعر يعيش هموماً إنسانيةً مشتركةً تفوق جغرافية المكان وحدود الزمان الضيقة. وهكذا كانت الشاعرة لميعة عباس عمارة تحس بالهم الإنساني المشترك، وتتوقُ روحُها إلى سمو الإنسان خُلقاً يجتاز

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

بها كلَّ عوائق التأطير المذهبي والفئوي والقومي. كانت تنادي بوحدة الشعور الإنساني وسمو الإحساس البشري الذي لا يحده حدود، ولا يقف بوجهه حائل غث. فقلبها يسع البشرية جمعاء، بل غير البشرية أيضاً:

قلبي فضاءُ اللهِ يَعمرُهُ ... الإنسانُ والعصفورُوالكوكب
ديني ديانات يؤلّفُها ... ربٌّ، وأخلاقٌ، ولا مَذهب
أوطانيَ الدُّنيا، ولو جعلوا ... بيتي بأقصى الصين ما استغرب
قومي شعوبُ الأرضِ ... مَن صَنَّفَ الإنسانَ، مَن رَتَّب؟
كلُّهمُ ... لا حقدَ أثقلَها ولا مكسب
روحي انطلاقُ الخيرِ ما ... (عمارة ،يسمونه الحب2001 :94-
انحدرت 96).

بهذه الرؤية الشمولية الإنسانية تعبّر الشاعرة عن موقفها تجاه الإنسان بشكل خاص والموجودات بشكل عام. وهذه الفكرة الراقية نادى بها كثير من الفلاسفة وعظماء الاجتماع عبر مرّ التاريخ. ولعل قول الإمام علي (ع) في الإنسان: «إمّا أخٌ لك في الدين، وإمّا نظيرٌ لك في الخَلق(الشريف الرضي ، 2004 : 427).

خير مثال على هذه النظرة البشرية السمحاء. فمن منظور إنساني يُعتبر امتهان الآخر هو امتهان للذات الإنسانية، فإذا أراد الإنسان أن يسمو نحو الرقي عليه أن ينبذ الحقد لتنطلق روحه إلى الخير، كما فعلت الشاعرة. ولا يمكن للإنسان أن يختار الخير دون أن يتمتع بالوعي وواجب المسؤولية. فليس «هناك من وعي يُساعدنا إذا فقدنا قدرتنا على الإحساس بمصيبة كائن بشري آخر. إذا أصبح الإنسان لا مبالياً بالحياة فلن يكون هناك أي أمل بإمكان اختياره للخير. ومن ثم سيصبح قلبه قاسياً إلى الحد الذي ستنتهي الحياة بسببه»(فروم، 2011 : 202).

وهنا يتضح أنَّ الشاعرة امتلكت وعياً إنسانياً عابراً لحدود التميز والطبقية، فهي لا تؤمن بالفوارق التي تقسّم المجتمع البشري إلى فئات صغيرة وكُتل اجتماعية ضيقة الأفق، تتناحر مع بعضها البعض متى ما اقتضت الضرورة وتغلب المنطق السلطوي المقيت.

ومن المعروف أنَّ الشاعرة تعرّضت لضغوط ومعاناة اجتماعية بسبب إنتمائها إلى طائفة الصابئة المندائية، فحاولت جاهدةً أن تنبذ التميز على أساس الدين والعرق واللون، واعتبرت التميز بشتى أنواعه وألوانه عملاً غير خلقي وغير إنساني. والتميز الطائفي حالة تظهر تحت تأثير المفاهيم التي تنشأ من البيئة الاجتماعية. والشاعر بحسه المرهف يتأثّر بالمفاهيم المنبعثة من واقع الحياة، فيبني على آثار تلك المفاهيم وتداعياتها مواقف حاسمة تبيّن نظرته الفلسفية ورؤيته الثاقبة نحوها. ويعد التميز العنصري من المظاهر السلبية التي تنبّه إليها الشاعر المعاصر، وهو في طريقه لإصلاح تلك السلبيات المجتمعية، وخاصة بعدما أصبحت ظاهرة خطيرة تهدد العيش السلمي والانسجام بين أبناء المجتمع الواحد. ولم تكن الشاعرة لميعة بمنأى عن هذا المنحى الإصلاحي، فقد عبّرت وبطرق شتى عن رفضها القاطع لهذه الظاهرة البشعة، ودعوتها لمبدأ الفطرة البشرية التي فطر الناس عليها:

ولأنّي أكره التمييز / فالكل على غير اتفاق ميزوني / ومن الطوفان حتى كاليفورنيا / لم أزل أعثر بالقيد الذي هم سلبوني / فاعذروني / إن تكن صومعتي دون شبابيك وباب / فأنا أحذر أن تجرحني الريح / وأن يُغلق باب الله دوني (عمارة، 2000 : 67).

لقد تبنّت الشاعرة في منهجها التوعوي مشروعاً إنسانياً أكبر من حجم المجتمع الذي كانت تعيش فيه. فرؤيتها للعالم رؤية بشرية تفوق الجماعات المحدودة وتتخطى الحدود الجغرافية المرسومة. ولكي تبقى راية الإصلاح والتوعية خفاقة، وهواجس الشاعرة هي هواجس الإنسان الآخر، أيّاً كان المنبت والانتماء، أعلنت الشاعرة تمرداً اجتماعياً على ما كان سائداً من طبقية اجتماعية قوامها التميز العرقي والعنصري والتي ما زال بعضها يحكم. فكانت الشاعرة تتعاطف ومن منطلق إنساني محض مع الفقراء والمعوزين والمضطهدين في العالم كافة دون استثناء. فكان يؤلمها وضع الفقراء الذين يحاولون الخروج من أمريكا إلى

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

المكسيك بحثاً عن الحياة الكريمة، مثل ما كان يؤذيها الوضع المأساوي الذي مرَّ به العراق:

الدرب للمكسيك يوصلني إلى كل الدروب / لأرى يد الجبار ممسكة بأعناق الشّعوب / الدرب ملأى بالجياع وبالمساكين الذليلة / من هارب عبر الحدود وهاربين الى التكيلة / ضيّعت وجهي في زحام الفقر في المكسيك / صارت وجوه بعد الحرب شاحبة عليلة / فكأن أرى أمي تجوع على الرصيف / أرى حفيدي مستجدياً / يتتبع السواح / تهمله عيونهم البخيلة (عمارة ، 2000: 62).

فالشعور الإنساني هو نفسه عند الشاعرة سواءً في المكسيك أو في العراق مسقط رأسها. إنه قيمة خُلقية تعبّر عن حالة إيجابية للوجود الإنساني، فالقسوة والحقد والتنكيل والطبقية وغيرها تمثل صفات ومفاهيم غير أخلاقية وغير إنسانية، وهي مرفوضة تماماً من الناحية القيمية. فالشاعرة ترى الفقراء والجياع في المكسيك وكأنهم عراقيون من أبناء مجتمعها، لا فرق بينهما من الناحية الإنسانية؛ لأنَّ الفئات التي مورس بحقها شتى أساليب الجور والظلم والاضطهاد سواء على مستوى الحقوق المدنية، مثل الحق بالعيش والحق بالحياة والحق بالسكن، أو على مستوى الحقوق السياسية، كالحق في التعبير والحق في الانتخاب والحق في تقرير المصير، هم نماذج متعددة لمأساة واحدة تتكرر من مجتمع إلى آخر. فحال العراق، من وجهة نظر الشاعرة، كحال المكسيك لا تقل عنه أسى ومعاناة، حيث الظلم والتجويع والتشريد هو نفسه يظهر بوجه كريه كالح:

نغصُّ أجل والطعام شهيٌّ هنا / لأنَّ ببغداد طفلاً وشيخاً يجوع / ومُعدمة لم يعد عندها ما تبيع / أريقت دمانا / فهل سلم الشرف الرفيع من الأذى؟ / نغصُّ لأنَّ الذين يجوعون نعرفهم بالأساسي / وأنَّ الذين يموتون من شُحّة في الدواء / وأنَّ الذين نعرفهم بالأساسي / ومن سرقت دورهم / ومن ذُبحوا في متاجرهم / ومن جُنَّ منهم / ومن قُتلوا دون حقٍّ / ومن فُقدوا / والمعاقينَ / نعرفهم بالأساسي / موزعة كلّ أرواحهم / فنصفٌ هنا ونصفٌ هناك / نحلّ مكانين رغم الفراق / وما بعُدت غير أجسادهم / عن تراب العراق(عمارة ،2000 : 62).

فالمعاني الإنسانية هنا هي معان تفصح عن إنسانية الشاعرة، والشعور العاطفي الإنساني واضح من خلال ما رسمته من معاناة الشعب العراقي إبان الحصار الاقتصادي الظالم الذي فرض عليه. فالإمبريالية الأمريكية عاقبت الشعب المسالم ولم تعاقب النظام الظالم، فالشاعرة ومن منطلق إنساني خُلقي صوّرت وكشفت ورسمت ما كابده الشعب العراقي من حرمان واضطهاد ومعاناة، ذلك الظلم الذي استهدف تفتيت اللحمة الاجتماعية للشعب العراقي وخرق نسيجه الاجتماعي المتماسك.

والملاحظ أنَّ الصورة الشعرية في هذا النص والتي يمكن مشاهدتها عبر مكونات البناء النصي، تنتظم في إطار تحقيق الدلالة المركزية والعامة للنص. فالمشاهد المرصودة بجزئياتها، وتسلسل تصويرها وتتابعها بإلحاح ممنهج تصب جميعاً في بوتقة تصوير المجتمع البائس المقهور والمسلوب حقه. وهذا ما يتطلب بأن يكون المخاطب على درجة من الوعي والإدراك بحركة المعاني المتنامية في النص، وبالمعاني والدلالات الكامنة فيه. فالوازع الإنساني الحي كان مرجعاً للصورة وحافزاً لقول الشعر. فالشاعرة جعلت من البعد الإنساني قيمة خُلقية توضع في متناول المتلقي لتخلق فيه حالة من الدهشة والانبهار عبر أسلوب يجمع بين الجمالية والتأثير.

4- إنشاد العدل والمساواة والسلام :

اهتم الشعر العربي المعاصر بقضايا الإنسان الاجتماعية وتوجهاته الفكرية بعد تصاعد معاناته وأزماته اثر المشكلات والتهديدات التي عاشها طوال فترات من التحكم السلطوي والاستئثار التعسفي للحكم. فكانت تجربته المريرة مصدر إلهام الشعراء، وسراً من أسرار إبداعهم الوجداني، وهم ينقلون تلك المعاناة إلى نفس المتلقي للوصول به إلى أعلى مراحل التأثّر والتأثير. ويسعى الشاعر من خلال خلجات نفسه الإنسانية، وما

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

تبنّى من رؤية ناضجة وقصدية منطلقة من تداعيات الواقع الراهن إلى نشر العدل والسلام، وزرع الأمن والطمأنينة بين الناس. ولعل تلك الوظيفة لم تكن وليدة العصر الحديث، وإنما رافقت نشأة الشعر في بواكيره الأولى. فكان الشعر أداة لفضّ النزاعات والحروب التي نشبت بين القبائل العربية في عصورها الأولى. وما شعر الحكمة في العصور القديمة إلا دليل على نجاح تلك الوظيفة وتحقيق أهدافها السامية التي كشفت مدى الترابط بين الشعر والمجتمع من جهة والشعر والواقع من جهة أخرى.

أما في عصرنا الحاضر فقد نحا بعض الشعراء ومنهم الشاعرة لميعة عباس عمارة ذلك المنحى بوساطة خطاب شعري، استوعب رهان المرحلة وخطورتها، من خلال إعادة النظر بوظيفة الشعر وبمنهجيته في التعبير التي استوعبت الواقع بكل ما حفل به من مشكلات، ولكن من غير أن يفقد خصوصية بنائه ولغته وطريقة أدائه. وبناءً على ذلك تبنّى الشعر باعتباره منجزاً إنسانياً وظيفة إنسانية راح الشعراء من خلالها يدعون إلى العدل والسلام، ونبذ الحرب ومغادرة لغة الدم والأحقاد، وذلك عبر خطاب يحاكي الشعور الإنساني على اختلاف القوميات والمذاهب والألوان والانتماءات. فالحرب لا تخلّف إلا الدمار والتخلّف والضياع. لذلك توجّه الشعراء نحو الواقع الإنساني ليصوّروا تلك الآثار من منطلق إنساني بحت، محاولين قدر المستطاع ترقيع الواقع المتأزم، وتفادي الأخطار المحدقة بالمجتمع.

لقد عبّرت الشاعرة وفي أكثر من مناسبة عن فداحة الظلم المترتب على ويلات الحرب، ومسلسل تداعياته المستديمة التي يتوارثها جيل بعد جيل. ولِمَ لا يعيش الإنسان آمناً بعيداً عن القتل والتنكيل؟ ولماذا الحروب والنزاعات اللامتناهية؟ وأين الحب والسلام من منظومة العيش المشترك؟ تساؤلات تدور في خلد الشاعرة، ولا تجد لها إجابات شافية على أرض الواقع. لكنها تحاول جاهدةً أن تعرض المشكلة، وتحذّر من خطورتها وآثارها السلبية في المجتمع. تقول الشاعرة في وصف تبعات الحرب:

لأُمِّ الفقيدِ تُسائل عنه البراري
لأُمُّ الأسيرِ، وظلمُ الأسار
وصاروا يرَونَ حَمامَ السلامِ
ولا نورَيَهدي خُطاها
يقطّعُ في كلِّ يومٍ حشاها
أبابيلَ، والمعلِماتِ متاها
(عمارة ، 2008 : 9- 10)

لقد أخذت الشاعرة تصوّر للمتلقي معاناة أم الفقيد التي فقدت فلذة كبدها بسبب الحرب، وهي تهيم على وجهها في البراري بحثاً عنه، ولا تقل حالة البؤس التي تعيشها أم الأسير عن حالة أم الفقيد، حيث ظلم الأسر ينهش وجودها وحياتها. إلا أنَّ دعاة الحرب لا يأبهون بمثل هذه الحالات الإنسانية الإليمة والمشاهد المأساوية المروعة؛ لأنهم استبدلوا حمامة السلام بطيور أبابيل القاتلة، وتاهوا في الأرض على الرغم من وضوح المعالم وسلامة الطريق. وتستمر الشاعرة في عرض صور الظلم التي يحياها الإنسان المظلوم تحت وطأة الظالم؛ لتثير في قناعة المجتمع مأساوية الظلم وضرورة مجابهته:

ويدُ الظلمِ توسِعُ الناسَ بؤساً
وارتعاشُ المروَّعِ المنكوبِ
وصراخُ المعذّبينَ على الأرضِ
يَنوءونَ تحتَ عِبءِ الكُروبِ
صورٌتُلهبُ الشعورَ فيبدو
في ابتسامٍ في دمعةٍ في قطوبِ
(عمارة،1958: 37-38)

بهذا الوصف المأساوي بيّنت الشاعرة وحشية الحروب وضراوة استمرارها وقساوة تداعياتها، ما يدعو إلى ضرورة إيقافها تفادياً لخسائرها الفادحة. فالشاعرة بتصويرها الواقع المأساوي للحرب تحاول تكريس قيمة السلام بوصفها قيمة خُلقية مضادة للحرب. فهي تدعو من خلال تقديم صورة الحرب البشعة وآثارها الإنسانية المزرية إلى التسامح والتآخي ونشر العدالة والسلام. ولا تكتفي الشاعرة بالإشارة إلى عواقب الحرب الوخيمة وضرورة

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

إحلال السلام والخير فحسب، بل تقترح إحلال الحب محلَّ النزاع والتناحر باعتباره قيمة خُلقية فريدة يمتاز بها الإنسان عن سائر الموجودات:

الحبُّ يلغي المسافات ولا يغير الأرقام / لا يحصد القمح ولا الزنبق من حدائق الأوهام / من عالمين بيننا حرب ودرب كله ألغام / وهب تجاوزنا خلافات السياسيين والنظام / ماذا سنحكي بعد أن تخمد فينا جذوة الغرام / للحب أبعاد بعمق الكون لا تحدها الأجسام / دقائق الأشياء تبني بيننا فواراقاً جِسام (عمارة، 2000 : 40).

تعتبر الشاعرة الحبَّ حالةً إنسانيةً تنبئ عن قيمة خُلقية تنظّم علاقة الفرد بالآخر، ترفع الإنسان إلى أعلى مراحل الإنسانية الرفيعة حيث الصفاء والنقاء. فهو رمز الإنسانية الذي يلغي المسافات ويتجاوز الأعراق والمذاهب والأديان والقوميات. والعلاقة المبتنية على أساس الحب تتطلب ما يوجب وجودها وهذا ما عبّرت عنه الشاعرة باستحالة حصاد القمح من حقول الوهم، وهي نظرة كونية واقعية وظّفتها بطريقة فنية مزجت فيها الواقع بالخيال.

النتائج

تبنّت المقالة دراسة القيم الأخلاقية الواردة في أشعار الشاعرة العراقية لميعة عباس عمارة، وخلصت إلى نتائج عدة نجملها كالآتي:

1- وظَّفت الشاعرة القيم الخُلقية في شعرها بوصفها آلية مهمة من آليات تشكيل الصورة والمعنى الشعري. فجاء التوظيف بأسلوب مميز وفقاً لرؤية فنية خاصة تربط المحسوس بالمجرد، وتصوّر المشهد بصورة حية مفعمة بالحياة.

2- عمدت الشاعرة إلى تمثّل القيم الخلقية في نتاجها الشعري من أجل إصلاح ما يمكن إصلاحه من المجتمع. فهي تؤمن بأن الأدب بصورة عامة والشعر بصورة خاصة، فضلاً عن جوهرهما الجمالي، محض رسالة إنسانية توعوية، هدفها الإصلاح وإحداث التغيير النوعي في المنظومة الاجتماعية. فكل قيمة خُلقية في شعرها تمثّل خلاصة تجربة عاشتها الشاعرة في مواقف الحياة الكثيرة والمتعددة، سواءً على الصعيد السياسي أو الاجتماعي.

3- حاولت الشاعرة أن تعرض القيم الخُلقية من منظور جمالي وفني؛ ليكون التأثير عالياً، والدهشة في مراتب متقدمة من التلقي. وقد حالفها النجاح في بلورة حالاتها الشعورية والنفسية من خلال تنظيم رؤيتها المعرفية تنظيماً فنياً ودلالياً؛ ليبلغ القمة في القدرة البيانية والتأثيرية.

4- استطاعت الشاعرة أن تصوّر القيم الخُلقية تصويراً جمع الجمال بالمنفعة. فالجمال تجلّى في الأسلوب الفني حيث الدقة في الوصف والتصوير، أما المنفعة فتكمن في رغبة الشاعرة تكريس تلك القيم داخل المجتمع وجعلها عادات وتقاليد تشكّل الوعي الجمعي فيه، وصولاً إلى مجتمع يحظى برقي خلقي رفيع. فلذا احتلت القيم الأخلاقية مكانة سامية في النتاج الأدبي للشاعرة.

5- اهتمت الشاعرة بطائفة من القيم الخُلقية والسجايا الإنسانية الحميدة، كان على رأسها: قيمة سمو النفس وصفاء الذات، وقيمة الوفاء وصدق العاطفة، وقيمة الشعور الإنساني، وقيمة العدل والسلام ونشرهما بين الناس بعيداً عن مميزات العرق واللون والدين.

6- اتسمت الرؤية المعرفية الخُلقية للشاعرة بالعالمية، ونبذ المعوقات العنصرية التي تحد من قيمة الإنسان، وتحول دون بلوغه مدارج الرخاء والسعادة. فكان شعرها مرآة تعكس مزايا التوجه الإنساني وضرورته في التطور والتعامل والبناء الاجتماعي.

7- تراءت الصورة الفنية للمدلول الخُلقي في أشعار الشاعرة عبر بيان اتسم بالوضوح اللغوي، والإيحاء المعنوي، والتوظيف البلاغي المعتدل، والتناغم الموسيقي المتزن، والتسلسل المنطقي للأفكار، وعدم اقحام المحسنات البديعية المصطنعة في صلب العمل الإبداعي.

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

المصادر والمراجع

1- أمين، أحمد، (1931م)، كتاب الأخلاق، القاهرة: دار الكتب المصرية.

2- الجرجاني، علي بن محمد، (2018م)، كتاب التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الريان للتراث.

3- ديكارت، رينه، (1993م)، انفعالات النفس، ترجمة: جورج زيناتي، بيروت: دار المنتخب العربي.

4- السكوت، حمدي، (2015م)، قاموس الأدب العربي الحديث، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

5- الشريف الرضي، محمد بن الحسين، (2004م)، نهج البلاغة، وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ضبط نصه: صبحي الصالح، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

6- طبانة، بدوي، (1948م)، أدب المرأة العراقية، القاهرة: دار العالم العربي.

7- الطعمة، سلمان هادي، (1955م)، شاعرات العراق المعاصرات، النجف: مطبعة الغري الحديثة.

8- عز الدين، يوسف، (1969م)، شعراء العراق في القرن العشرين، بغداد: مطبعة أسعد.

9- عصفور، جابر، (1992م)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، بيروت: المركز الثقافي العربي.

10- عمارة، لميعة عباس، (2008م)، البعد الأخير، بيروت: دار اليعارب.

11- عمارة، لميعة عباس، (1958م)، الزاوية الخالية، بغداد: مطبعة الرابطة.

12- عمارة، لميعة عباس، (1971م)، عراقية، بيروت: دار العودة.

13- عمارة، لميعة عباس، (2001م)، عودة الربيع، بيروت: نشر عمارة.

14- عمارة، لميعة عباس، (2000م)، قبل الـ 2000، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

15- عمارة، لميعة عباس، (2001م)، يسمونه الحب، بيروت: نشر عمارة.

16- فروم، إيريش، (2011م)، جوهر الإنسان، ترجمة: سلام خير بك، اللاذقية/سوريا: دار الحوار.

17- الفيل، توفيق، (1987م)، فنون التصوير البياني، الكويت: منشورات دار السلاسل.

18- قاسم، عدنان حسين، (2000م)، التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع.

19- المطبعي، حميد، (1995م)، موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

20- الموسى، خليل، (1991م)، الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر، دمشق: مطبعة الجمهورية.

المصادر باللغة الانكليزية

1- Amin, Ahmed, (1931 AD), The Book of Ethics, Cairo: Dar Al-Kutub Al-Misria.

2- Al-Jurjani, Ali bin Muhammad, (2018 AD), The Book of Definitions, edited by: Ibrahim Al-Abiyari, Cairo: Dar Al-Rayyan Heritage.

3- Descartes, René, (1993 AD), Emotions of the Soul, translated by: Georges Zenati, Beirut: Dar Al-Muntakhab Al-Arabi.

4- Al-Sakout, Hamdi, (2015), Dictionary of Modern Arabic Literature, Cairo: Egyptian General Book Authority.

5- Al-Sharif Al-Radi, Muhammad bin Al-Hussein, (2004 AD), Nahj Al-Balagha, which is a collection of what Al-Sharif Al-Radi chose from the words of the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib (peace be upon

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055

20- Al-Mousa, Khalil, (1991), Modernism in the Contemporary Arab Poetry Movement, Damascus: Al-Jumhuriya Press.

Representation of moral values in the poetry of Lamia Abbas Amara

Haidar Mahallati

Hadeer Abdul-Abbas Rashad Al-Golaibi

Hossein Takbar Firouzjai

Qom University, Iran

Abstract:

Morality, a high human value, is closely connected with society. It emanates from the society's core and directs individuals, based on the vision determined by the dominant customs in the social environment. The value of love, beauty, virtue, knowledge, goodness, happiness, etc., are subject to a specific definition agreed upon by a given society. In light of this definition, these morals are rooted in the conscience of the individual and expand through philosophical ideas, intellectual products, the pens of writers, and the poems of poets. Prominent poets and their poems are the best vehicles for the dissemination of good morals and characteristics in the society.

Lamia Abbas Amara (1929-2021 AD) is one of those creative women who, in her poems addresses, the concerns of society; she concerns herself with what the society suffers from: the loss of lofty human values, morals, and principles. Her poems create a polished mirror that reflects the dark void and obvious defect in the joints of the living environment. This study, adopting the descriptive analytical approach, aims to investigate the function of

him), the text of which was set by: Subhi Al-Saleh, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Lubani.

6- Tabana, Badawi, (1948 AD), Iraqi Women's Literature, Cairo: Dar Al-Alam Al-Arabi.

7- Al-Ta'ma, Salman Hadi, (1955), Contemporary Women Poets of Iraq, Najaf: Al-Ghari Modern Press.

8- Ezz al-Din, Youssef, (1969), Iraqi Poets in the Twentieth Century, Baghdad: Asaad Press.

9- Asfour, Jaber, (1992), The Artistic Image in the Critical and Rhetorical Heritage of the Arabs, Beirut: Arab Cultural Center.

10- Amara, Lamia Abbas, (2008), The Last Dimension, Beirut: Dar Al-Ya'arib.

11- Amara, Lamia Abbas, (1958 AD), Al-Zawiya Al-Khali, Baghdad: Al-Rabita Press.

12- Amara, Lamia Abbas, (1971 AD), Iraqi, Beirut: Dar Al Awda.

13- Amara, Lamia Abbas, (2001), The Return of Spring, Beirut: Amara Publishing.

14- Amara, Lamia Abbas, (2000 AD), before 2000, Baghdad: House of General Cultural Affairs.

15- Amara, Lamia Abbas, (2001), They Call It Love, Beirut: Amara Publishing.

16- Fromm, Erich, (2011 AD), The Essence of Man, translated by: Salam Khair Bey, Latakia/Syria: Dar Al-Hiwar.

17- Al-Feel, Tawfiq, (1987), Graphic Arts, Kuwait: Dar Al-Sasil Publications.

18- Qasim, Adnan Hussein, (2000 AD), Poetic Illustration: A Critical View of Our Arabic Rhetoric, Cairo: Arab House for Publishing and Distribution.

19- Al-Muttabi, Hamid, (1995), Encyclopedia of Iraqi Figures in the Twentieth Century, Baghdad: House of General Cultural Affairs.

moral values in the poet's work and to examine her moral framework present in her published poems and collections. The study concludes with certain results, the most important of which is that Lamia was from the very beginning conscious of poetry's power to enlighten people, especially in reforming and directing the society through a purposeful discourse that seeks to establish and spread morality among people. The charm and fascination of her poetry have left a deep and lasting impact on readers.

Keywords: Moral, Moral values, Lamia Abbas Amara, free verse, Contemporary Iraqi poetry.

DOI:10.52113/uj05/024-17/1040-1055